

النقد

مركز الحوار السوري  
Syrian Dialogue Center

## التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (3): الأدوات الإعلامية والديموغرافية

تقرير وصفي تحليلي ضمن سلسلة بعنوان

"التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا"

الثلاثاء 9 ذو القعدة 1441 هـ - 30 يونيو/حزيران 2020 م

## مركز الحوار السوري

مؤسسة أهلية سورية تهدف إلى إحياء الحوار وتفعيله حول القضايا التي تهم الشعب السوري، وتسعى إلى توطيد العلاقات وتفعيل التعاون والتنسيق بين السوريين. أعلن عن تأسيس مركز الحوار السوري أواخر 2015م عقب عدة فعاليات حوارية في الشأن السوري. يتكون المركز من ثلاث وحدات موضوعية: وحدة الهوية المشتركة والتوافق، ووحدة تحليل السياسات، والوحدة المجتمعية.

---

إعداد: د. ياسين جمول

مدير الوحدة: د. أحمد قربي  
وحدة التوافق والهوية المشتركة

التاريخ:

9 ذي القعدة 1441 هـ - 30 يونيو / حزيران 2020 م

 WWW.SYDIALOGUE.ORG

## المحتويات

2	الملمخص:
3	مقدمة:
5	1- أدوات إيران الإعلامية للتغلغل الثقافي في سوريا:
5	1-1- الإعلام الإيراني في سوريا: تزوير التاريخ والحاضر
8	1-2- الأنشطة الإعلامية للمستشارية الثقافية الإيرانية: الأخطبوط الثقافي
9	1-3- احتفالات ومهرجانات ومعارض: تصدير وجه ثقافي جديد لسوريا
10	1-4- النشر والتوزيع: التشويه الإيراني لصفحة الثقافة في سوريا
13	2- أدوات إيران الديمغرافية للتغلغل الثقافي في سوريا:
13	1-2- زيارة للإقامة: بداية التمويل والتوطين
15	2-2- التهجير القسري: طريق إيران للتوطين الدائم
18	2-3- تغيير معالم المناطق: رسم وجه عمراني إيراني لسوريا
21	خاتمة:

## الملخص:

يركز القسم الأول من هذا الإصدار عن التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا على الأدوات الإعلامية التي تستخدمها إيران للتمكين لمشروعها في سوريا. ويأتي على رأسها المحطات الإخبارية التي لعبت دوراً مهماً؛ ولاسيما من الناحية السياسية في الترويج لأكاذيب النظام وحلفائه في "محور المقاومة والممانعة"، كما هو حال قناتي المنار والميادين. كما عمدت إيران عبر أذرعها الإعلامية إلى ترجمة عشرات المسلسلات والأفلام الإيرانية إلى اللغة العربية، بما يساهم في نشر الأفكار "الفارسية الشيعية". ولم تكتف بذلك؛ بل عمدت إلى تعميم نموذجها للأناشيد "الحماسية"، خصوصاً لدى الأطفال والفئات الشبابية، بما يؤدي إلى تعبيثهم في مشروعها.

كذلك عمدت إيران إلى تسخير بعض الأدوات الإعلامية التابعة للنظام في سبيل توسيع تمددها الأفقي؛ فقد عمدت المستشارية الثقافية الإيرانية إلى تعزيز علاقاتها مع بعض المؤسسات الإعلامية التابعة للنظام والقائمين عليها من خلال اللقاءات المتكررة، لتسهيل نشر أفكارهم عبر مقالات وأعمدة صحفية في الصحف التابعة لنظام الأسد ومواقعها الإلكترونية، وكثفت ندواتها ولقاءاتها المفتوحة مع الجمهور، إلى جانب إقامة الاحتفالات الدينية والوطنية الإيرانية، وإقامة المعارض الفنية والفعاليات الثقافية، والتي يأتي في مقدمتها "الأسبوع الثقافي الإيراني".

أما في إطار النشر والتوزيع فما زالت إيران تستخدم عدة أدوات لنشر منتجاتها الثقافية داخل سوريا؛ يأتي على رأس هذه الأدوات مكتبتها الضخمة الموجودة في الملحقية الثقافية الإيرانية بدمشق، ومجلة "الثقافة الإسلامية" التي تصدر تحت رعايتها، إضافة إلى نشر الكتب، ودعم دور النشر الخاصة التي تنشر الفكر والثقافة الفارسيين، إلى جانب إنشاء المكتبات الخاصة.

ويتناول القسم الثاني من الإصدار الأدوات الديموغرافية، ويأتي على رأسها الإقامة الاختيارية لزوار المقامات الدينية الذين يستقرون في سوريا؛ فكما كانت زيارة المراقد الشيعية في سوريا ذريعة المليشيات الموالية لإيران للتدخل العسكري؛ كانت ذريعتهم للزيارة والحجّ من قبل أو هرباً من الظلم؛ ثم انقلبت إلى استقرار وإقامة، وباتوا أداة في يد إيران لنشر التشييع، وتغيير التركيبة السكانية.

كذلك لجأت إيران إلى التهجير القسري في كثير من الحالات لتوطين مجموعات طائفية حاملة للمشروع الإيراني، ثم لجأت إلى تدعيم هذا الأمر بخطوات متعددة؛ تارة عبر إسباغ "مشروعية ظاهرية" عليه عبر مجموعة من القوانين التي أصدرها نظام الأسد ومشاريع إعادة الإعمار، وتارة أخرى عبر حرق السجلات العقارية لإخفاء حقوق أصحاب الأرض الحقيقيين.

إلى جانب ذلك التغيير الديموغرافي الذي يستهدف البشر؛ عمدت إيران إلى التغيير الديموغرافي الذي يستهدف الحجر، عبر تغيير معالم المناطق السورية، وإنشاء مزارات وحسينيات وفق "النمط المعماري الإيراني"، قد تستخدمها إيران لتأكيد حقها في الوجود في هذه البلاد، في خطوة تدكّر بالجهود التي يبذلها الاحتلال الإسرائيلي لتأكيد حقه المزعوم في فلسطين عبر محاولة إثبات وجود الهيكل.

## مقدمة:

تعدّ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة مصدراً مهماً من مصادر التوجيه والتثقيف في أي مجتمع، وهي ذات تأثير كبير في جماهير المتلقين المتباينين في اهتماماتهم وتوجهاتهم ومستوياتهم الفكرية والأكاديمية والاجتماعية، وهذا ما يكسبها أهميتها في عملية بناء المجتمعات، ويمكن الزعم بأنها أحد العناصر الأساسية في المساهمة في تشكيل ملامح المجتمعات<sup>(1)</sup>.

إن تقييم دور الوسائل الإعلامية إيجاباً على الصعيد الوطني دائماً ما يقاس بمعياري تكريسه للتقييم الإيجابية التي تتناسب مع هوية المجتمع الوطنية والدينية الثقافية والفكرية، وبالتالي إذا ما ابتعدت هذه الوسائل عن تحقيق هذه القيم<sup>(2)</sup> أضحت بمثابة حوامل أساسية "للغزو الفكري"<sup>(3)</sup>.

من هذا المنطلق يمكن تصنيف الأدوات الإعلامية التي تستخدمها إيران للتغلغل الثقافي في سوريا ضمن وسائل القوة الناعمة التي تهدف للترويج للمشروع الإيراني وبث أفكاره وقيمه داخل المجتمع السوري.

فإذا كان "التشيع" بمفهومه الواسع الديني والسياسي يمثّل مضمون (موضوع) المشروع الإيراني في سوريا؛ فإن الأدوات الدينية والاجتماعية والمدنية والتعليمية والإعلامية هي بمثابة حوامل القوة الناعمة التي تستخدمها إيران لبتّ هذا المضمون ضمن فئات المجتمع السوري، وفي حال فشلها في تحقيق ذلك تلجأ إلى التغيير الديمغرافي، الذي يستبدل بأفراد المجتمع الراض لهذا المشروع مستوطنين وغزاة حاملين له، لا بل ومدافعين عنه.

سيركز الإصدار الثالث من سلسلة التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا على النوعين الأخيرين من وسائل القوة الناعمة<sup>(4)</sup> التي تستخدمها إيران لنشر مشروعها في سوريا، وهما: الأدوات الإعلامية والأدوات الديمغرافية.

وسيوجب هذا الإصدار على السؤاليين التاليين:

- ما هي أبرز الأدوات الإعلامية التي تستخدمها إيران لنشر مشروعها الثقافي في سوريا؟
- وما هي أبرز الأدوات الديمغرافية المستخدمة من إيران في هذا المجال؟

1- د. فاطمة البريكي، دور الإعلام في تشكيل المجتمع، إسلام ويب، 4-9-2019، الرابط: <https://bit.ly/37QGezz>.

2- المصدر السابق.

3- يعرف الغزو الفكري بأنه: "عملية تغيرية تستهدف إحلال مرجعي وفكري وثقافي من أمة غالبية على أمة مغلوبة في ظل التفوق العسكري والمادي"، وهو بذلك يختلف عن "التفاعل الفكري" الذي يعبر عن حالة إيجابية؛ لأنّ التفاعل إنما يكون من جانبين بين ندين، يعطي كل منهما وبأخذ، واعياً مختاراً غير مكره، ولا واقع تحت تأثير خاص. فهو يأخذ ما يحتاج إليه وفق معايير مدروسة، ويدع ما يدع تبعاً لمنطق معلوم، محتفظاً بهويته وخصائصه، غير مفرط في قيمه ومبادئه ومسلّماته المشخصة لذاته.

يراجع في ذلك: ليث سعود جاسم وزمخشري بن حسب الله، الغزو الفكري وأثره على منهج سعيد النورسي في تفسيره للآيات القرآنية، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، العدد الخاص /4/، ديسمبر/2011، ص 158 وما بعدها، الرابط: <https://bit.ly/2NnlXYS>.

4- إذا كانت الأدوات الإعلامية تندرج بشكل كامل ضمن أدوات القوة الناعمة، فإن الأدوات الديمغرافية التي ستتناولها الدراسة ليست كذلك بشكل كامل، وتحديداً "التهجير القسري" الذي يندرج ضمن وسائل القوة الخشنة، إلا أننا أدرجناه ضمن هذه الأدوات استثناءً، على اعتبار بقية الوسائل الديمغرافية المذكورة تنتمي لوسائل القوة الناعمة.

وأهمية هذا الإصدار تبرز في نقطتين: الأولى أنه يركز على أحد أهم وسائل التأثير الجماهيري (وسائل الإعلام)، التي تخاطب مختلف فئات المجتمع، وتولمها إيران أهمية خاصة؛ لأنها تمثل المنصة التي تخاطب من خلالها العالم العربي عامة، والمجتمع السوري -وتحديداً حاضنة النظام- بشكل خاص. والثانية: أنه يسلط الضوء على أخطر أداة تعبت إيران من خلالها بالبنية المجتمعية السورية (التغيير الديمغرافي)، والتي إذا ما قُيِّض لها أن تتواصل فسوف يؤول الوضع في سوريا معها إلى حروب أهلية مفتوحة، وإلى خلخلة الكيان الوطني السوري وزعزعة استقراره وتفجيره؛ هذا عدا عن تداعياته الجغرافية التي سوف تطال الإقليم بأسره<sup>(5)</sup>.

ينقسم الإصدار إلى قسمين: يبحث الأول الأدوات الإعلامية التي استخدمتها إيران لتحقيق تغلغلها الثقافي سوريا، في حين يركز القسم الثاني على الأدوات الديمغرافية.

---

5- ينظر: د. عبد الله تركماني، مخاطر التغيير الديموغرافي في سوريا، شبكة جيرون، 17-7-2017، الرابط: <https://bit.ly/2BrTMpc>.

## 1- أدوات إيران الإعلامية للتغلغل الثقافي في سوريا:

جهدت إيران في بناء منظومة إعلامية كبيرة حتى باتت هي الأكبر في الشرق الأوسط، في واحدٍ من أهم أذرع حربها الناعمة للتغلغل الثقافي خارج الحدود<sup>(6)</sup>، ويشرف المرشد الأعلى للثورة الإيرانية على السياسات الإعلامية<sup>(7)</sup>.

وتعمل هذه المنظومة على نشر التشييع وتصدير النموذج الإيراني<sup>(8)</sup>؛ "ففي الوقت الذي تقدّم فيه وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي المفردات الخطابية والثورية المؤثرة، يأتي دور وسائل الإعلام لترويجها على شكل مواد إعلامية وخبرية، وأحياناً يأتي دور وزارة الاستخبارات في تحشيد الموارد المادية والمعنوية من أجل وضعها موضع التنفيذ"<sup>(9)</sup>. وقد رصدنا تجليات هذه السياسة الدعائية الإيرانية عبر الأدوات التالية: الإعلام الإيراني في سوريا، والأنشطة الثقافية الإيرانية، والاحتفالات والمهرجانات والمعارض، والنشر والتوزيع<sup>(10)</sup>:

### 1-1- الإعلام الإيراني في سوريا: تزوير التاريخ والحاضر

عمدت إيران في إطار مشروعها التوسعي إلى إرساء قاعدة إعلامية ضخمة لدعم هذا المشروع وتسويقه. وفي السياق السوري كانت "قناة المنار الفضائية" التابعة لحزب الله من أهم أدوات إيران الإعلامية في المنطقة.

ففي السنوات التي سبقت الثورة السورية كانت "قناة المنار" أداةً لإيران في نشر التشييع والدعاية لحزب الله وبطولاته في العالم العربي؛ فعُدّت من عوامل نشر التشييع في سوريا<sup>(11)</sup>، وأكدت دراسة لقناة المنار أن كل البرامج السياسية والدينية فيها يجب أن تُظهر التوجهات الإيرانية الدينية والسياسية<sup>(12)</sup>.

6- هذا ما تعتمد إليه الدول التي لها مطامع توسعية وتخوض حروباً خارج حدودها؛ فقد بلغت ميزانية وكالة الإعلام للولايات المتحدة الأمريكية مليار دولار مع طاقم من 10 آلاف موظف في ذروة الحرب الباردة، وكانت وظيفتها "بيع أمريكا للعالم"، أي: قصّ حكايتها، أو بمعنى أصحّ قصة العالم برواية أمريكية.

يُنظر: الثقافة والقوة الناعمة. حروب الأفكار في السياسة الخارجية، دراسات، مركز بريك للدراسات والأبحاث، 2016/8/9، ص9.

7- يقول خامنئي: "وسائل الإعلام في هذا العصر لها قوة تدميرية تعادل القبلة الذريّة".

يُنظر: أسامة شحادة، الحرب الشيعية الناعمة: الإعلام نموذجاً، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2015/11/23، <https://cutt.us/4MjKn>، سماح عبد العي، القوة الذكوية في السياسة الخارجية (دراسة في أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان 2005-2013)، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2014، ص143.

ويقول الخميني: "لا نهاية لتأثير وسائل الإعلام، وإن إصابتها كالقذيفة تماماً؛ فاستخدمها لتحقيق أهدافك".

ينظر: علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إيران وإسرائيل، كتاب الراصد، بدون تاريخ، ص36.

8- لمشروع إيران 33 قناة فضائية ناطقة باللغة العربية على القمر الصناعي (نايل سات) و13 قناة على القمر الصناعي (عرب سات) لنشر التشييع.

يُنظر: الهيثم زعفان، الفضائيات الشيعية التبشيرية دراسة وصفية مع تحليل محتوى قناة الكوثر الإيرانية، مركز التنوير للدراسات الإنسانية، مصر، 2010.

9- يُنظر: فراس إلياس، التداخل بين الإعلام والثقافة والاستخبارات في إيران، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2018/10/6، <https://cutt.us/AvG6M>.

10 إذا كانت بعض الأدوات المشار لها تندرج بشكل طبيعي تحت "الإعلام" كما هو الحال في الفقرتين الأولى والرابعة، فإن بعضها الآخر قد لا يندرج تحت هذا العنوان بشكل مباشر، وهو أقرب من حيث المضمون إلى المجال الثقافي، كما هو حال الأنشطة الثقافية الإيرانية والاحتفالات والمهرجانات والمعارض. ومع ذلك ارتأينا وضعها تجاوزاً ضمن "الأدوات الإعلامية" لقرها منها.

11- عبد الستار آل حسين، تحذير البرية من نشاط الشيعة في سوريا، دار المحدثين، مصر، 2007، ص9.

12- يُنظر: الفضائيات الشيعية التبشيرية، ص29.

وبسبب تواطؤ النظام مع المشروع الإيراني - وحزب الله جزء منه - جعلَ تلفزيون النظام السوري قناة المنار مصدره في أخبار الساحة اللبنانية، وعبأً السوريين خلف رواية حزب الله للأحداث، وسوّق كل مخالفة لسياسات إيران وحزب الله على أنها "مؤامرة" تستهدف حلف "المقاومة الإسلامية" بزعامة إيران<sup>(13)</sup>!

ومع انطلاق الثورة نزلت قناة المنار مع قوات حزب الله لتغطية الأحداث وتسويقها وفق الرؤية الإيرانية الأسدية، وقُتل لها عناصر في تغطية بعض معارك الحزب على الأرض السورية<sup>(14)</sup>؛ ما دفع إعلام النظام السوري للاحتفال بها نموذجاً للإعلام "الحرّ المقاوم"، بل وليقدّمها لطلاب كلية الإعلام نموذجاً إعلامياً رائداً<sup>(15)</sup>. مع توقيعه بروتوكول تعاون باسم "التلفزيون السوري" مع "قناة المنار"<sup>(16)</sup>؛ في سعي من النظام وإيران لإعادة تشكيل وعي الطلاب، وتقديم أدوات إيران نماذج متميزة للسوريين في العمل الإعلامي.

ومما استعملته إيران إعلامياً للتغلغل الثقافي إذاعةً إيرانيةً شيعيةً في منطقة "السيدة زينب" تبث على موجة قصيرة (إف إم) على غرار إذاعة حزب الله<sup>(17)</sup>.

وعقب انطلاق الثورة السورية، وانكشف القنوات الإعلامية ذات الدعم الإيراني أمام الجماهير؛ افتُتحت بدعم من إيران وحزب الله "قناة الميادين"، وأدّت دوراً مهماً في ترويح الإشاعات عن الثورة السورية وتبييض صحائف الميليشيات الطائفية، واختراق الساحة الإعلامية العربية من خلال خطاب داعم للموقف الإيراني<sup>(18)</sup>.

ولا يخفى أثر الإعلام اليوم في صناعة الرأي العام، لاسيما في ظل الأنظمة المستبدّة التي تحجب ما يخالف روايتها عن الناس، كما هو الحال في مناطق سيطرة النظام، الذي أصبح يعتمد على ما تبثه وسائل الإعلام الإيرانية، وغدت إيران هي صانع الخبر ومحرّزه ومُرسله، والنظام "مراسل" لا غير<sup>(19)</sup>؛ فمع استحضر المنظومة الإعلامية الضخمة لإيران نجد هذا الإعلام الموجّه أقرب لغسل الأدمغة بشكل شبه يومي برواية إيرانية للأحداث تصوّر القاتل من حزب الله والميليشيات الإيرانية بثوب المُقاوم البطل، فيزداد تعلق الناس بهم ويميلون لما هم عليه من التشييع

13- يُنظر: د. عبد الرحمن الحاج، البعث الشيعي في سوريا (1919 - 2007)، المعهد الدولي للدراسات السورية، 2009، ص 122.

14- قُتل ثلاثة أفراد من طاقم قناة المنار في معارك معلولا بريف دمشق بتاريخ 2014/4/14.

ينظر: سوريا: مقتل ثلاثة إعلاميين من قناة "المنار" بمعلولا، فرانس 24، 15-4-2014، الرابط: <https://cutt.us/qr0ny>.

15- عقدت كلية الإعلام في جامعة دمشق لقاءً لإدارة قناة المنار مع الطلاب بحضور رئيس جامعة دمشق وعميد كلية الإعلام تحت عنوان: (لقاء طلابي في كلية الإعلام: عرض الجوانب العملية التي تتبعها قناة المنار)، وأشار مدير المنار "إلى دور الإعلام المقاوم في صمود سوريا، ووقوفه في وجه التضليل الإعلامي الذي مارسه وسائل الإعلام، والتي تمتلك أجنداث خاصة تحاول من خلالها السيطرة على الفكر العربي"

ينظر: الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، 2017/12/20. الرابط: <https://bit.ly/37MnXDdu>.

16- موقع وزارة الإعلام السورية، 2016/9/25، الرابط: <https://bit.ly/318hl17>.

17- مؤسسات النفوذ الإيراني: ص 24.

18- يُنظر: مجموعة من الباحثين، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار، 2013: ص 294، والحرب الشيعية الناعمة الإعلام نموذجاً، مرجع سابق. وقناة بن جدو وتبييض صحائف الروس، القدس العربي، 2019/1/17، الرابط:

<https://cutt.us/pOCWC>

19- حسام نجار، هذا ما فعلته إيران في سوريا، أنا برس 2018/12/22. <http://anapress.net/a/959943117166720>

الفارسي، فيستحكم التغلغل الثقافي الإيراني في المجتمع؛ وهذا أقرب ما يكون لما يُسمى "تصنيع الإجماع"<sup>(20)</sup>، بمعنى جعل الرأي العام يوافق على أمور لا يرغبها بالأساس عن طريق استخدام وسائل دعائية!

ولا يقتصر التغلغل الثقافي الإيراني عبر وسائل الإعلام على المواد الإخبارية فحسب؛ فإيران تدرك أن شريحة كبرى من الناس لا يتأثرون بالبرامج التلفزيونية، بل يتفاعلون مع الصورة والكلمة التي تجسدها الحركة والحدث والمشهد كما في الدراما؛ فالدراما – بخلاف الأخبار – مادة حميمية بشخصياتها وموضوعاتها، وهي حامل مهم للثقافة والأفكار، لذا يكون تأثيرها أكبر في الشعوب<sup>(21)</sup>. وهذا ما تدركه إيران ووظفت لذلك حرباً درامية قوية لتعبئة الرأي العام وراء مشروعها<sup>(22)</sup>، وعملت على استغلاله للتغلغل الثقافي في سوريا؛ فقد افتتحت إيران في دمشق مقرّاً خاصاً لقناة (أي فيلم) الإيرانية التي تبثّ برامجها باللغة العربية من دمشق بالتنسيق مع مدراء شركات إنتاج سوريا، فنيين وصحفيين ونقاد؛ لدبلجة عشرات المسلسلات الإيرانية باللهجة السورية، بالإضافة إلى البرامج الحية التي تبثّها القناة على المجتمع السوري من داخل دمشق<sup>(23)</sup>، علماً أن المسلسلات التاريخية والسياسية الإيرانية المدبلجة التي تعرضها قنوات المنار وغيرها تحوّر الحقائق وتشوّه وقائع التاريخ من جهة، وتروّج لبطولات المخابرات والأجهزة الأمنية الإيرانية في كشف شبكات الجاسوسية والإجرام<sup>(24)</sup>، كما هو حال الفيلم الإيراني "بتوقيت الشام" الذي عُرض في عدة مدن سورية عام 2018، وهو من إنتاج منظمة "أوج" الذراع الثقافي للحرس الثوري الإيراني<sup>(25)</sup>.

وسبق ذكر ما تعرضه المؤسسات الإيرانية من أفلام للأطفال في دورات "الكشفة"<sup>(26)</sup>، وكذلك ما تمشي فيه إيران من الدعاية لنفسها ولمشروعها في المدن السورية بالأفلام والأغاني "الحماسية"، عبر الأوكسترا التابعة للحرس الثوري وقوات التعبئة والقطاعات الأهلية<sup>(27)</sup>، لشحن نفوس الأطفال والكبار بالأكاذيب والطائفية والكرهية، لاستئثارهم للقتال خارج حدودها وتحقيق مشروعها التوسعي في المنطقة<sup>(28)</sup>. لأن من إدارة الرأي العام – كما ذكر

20- ناعوم تشومسكي، السيطرة على الإعلام الإنجازات الهائلة للبروجاندا، تعريب: أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005: ص9.  
21- يُدرس تأثير الدراما والتلفزيون ووسائل الاتصال عامة وفق عدة نظريات، وفيه دراسات نظرية وميدانية كثيرة، يُنظر مثلاً: محمود حسن إسماعيل، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 2003. أحمد سيف شاهين، مشاهدة الدراما التلفزيونية المدبلجة وعلاقتها ببعض الحاجات النفسية لدى المراهقين، رسالة جامعية، جامعة دمشق، العام الدراسي 2013-2014. صالح محمد حميد، أثر مشاهدة المسلسلات الدرامية التركية في القنوات العربية على قيم الفتاة الجامعية اليمنية، بحث علمي، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد16، المجلد17، 2017.

22- يُنظر: حرب الدراما المشروعة لمواجهة إيران، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2017/5/9 <https://cutt.us/OWPxm>

23- المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية: ص232.

24- يُنظر: فهد الأوغا المصري، استراتيجيات الإعلام الإيراني الموجّه للعالم العربي، الحوار المتمدن، العدد1210، 2010/2/7.

25- يصور الفيلم جهوداً لمقاتلين إيرانيين في سوريا؛ فيرصد قصة طيار إيراني يتوجه إلى سوريا برفقة نجله على طائرة تحمل "مساعداً إنسانية"، وبعد هبوطها تحمل مجموعة من الأطفال والنساء لإنقاذهم وتنطلق، لكن تنظيم "داعش" يختطف الطائرة ويحاول تفجيرها، فينقذها الطيار الإيراني.

ينظر: حرب إيرانية ناعمة في سوريا بدايتها فيلم بتوقيت الشام، عنب بلدي، 2018/2/9، الرابط: <https://bit.ly/3hMBhfA>.

26- يراجع: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (2): الأدوات التعليمية والاجتماعية، مركز الحوار السوري، أيار/مايو 2020، الرابط: <https://bit.ly/2YOqU28>

27- يُنظر: خطاب الكراهية الإيراني للعرب: النشيد الحماسي والدعوة كليب نموذجاً، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية 2016/5/24 <https://cutt.us/jw8Pk>

28- أطلقت إيران نشيداً حماسياً يدعو للقتال في سوريا يؤدّي النشيد عددٌ من الأطفال للباس عسكري، ومن كلماته: (أذهب إلى الحَرَمِ وروحي بكفي، غايقي ليس تحرير العراق وسوريا؛ بل طريق القدس يمرّ عبر حلب!)؛ فالحَرَمِ المقصود هو مقام السيدة زينب والسيدة رقية في دمشق،

تشومسكي – أن يتم تزييف التاريخ وتمثيله كالحقيقة، فهو الوسيلة للتغلب على المخاوف؛ ليبدو الأمر وكأننا حينما نهجم وندمر الآخرين فإنما نعمل نحن ذلك لحماية أنفسنا والدفاع عنها ضد الوحوش المعتدين، وحينما تسيطر على الميديا وتعكس المؤسسة التعليمية والأكاديمية آراء النخبة يمكن حينئذ أن تمرر رسائلك؛ فصورة العالم التي تُقدّم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب<sup>(29)</sup>.

## 1-2- الأنشطة الإعلامية للمستشارية الثقافية الإيرانية: الأخطبوط الثقافي

لم تكتفِ إيران بإنشاء أدوات إعلامية خاصة بها كما مرّ معنا في الفقرة السابقة، بل عمدت كذلك إلى تسخير بعض الأدوات الإعلامية التابعة للنظام في سبيل توسيع تمددها الأفقي؛ إذ عمدت المستشارية الثقافية الإيرانية إلى تعزيز علاقاتها مع بعض المؤسسات الإعلامية التابعة للنظام والقائمين عليها من خلال اللقاءات المتكررة<sup>(30)</sup>.

كما عمد الإيرانيون العاملون في المستشارية الثقافية الإيرانية إلى نشر أفكارهم عبر مقالات وأعمدة صحفية في الصحف التابعة لنظام الأسد ومواقعها الإلكترونية، والتي تركز بالمجمل على نشر أفكار المشروع الإيراني تحت غطاء "مشروع المقاومة والممانعة"<sup>(31)</sup>.

وإلى جانب العلاقات ووسائل الإعلام عمدت المستشارية الإيرانية في دمشق إلى تكثيف ندواتها ولقاءاتها المفتوحة مع الجمهور، والتي تركز عناوينها الثقافية الإيرانية المذهبية الطائفية "ثقافة ولي الفقيه" الفارسية في سوريا<sup>(32)</sup>، وتعود لترسخ مفاهيم المقاومة والجهاد وفق مفهوم إيران الذي تزيّف فيه الواقع والتاريخ<sup>(33)</sup>، وتعمل كذلك على تشويه المرجعيات الدينية وتدمير روابط المجتمع السوري، وتُبعده عن محيطه العربي والإسلامي باتجاه إيران فحسب؛ بما يضعف الهوية الوطنية السورية الأصلية لحساب هوية ثقافية جديدة تعمل إيران لعقود على توليدها في سوريا عبر التغلغل الثقافي<sup>(34)</sup>.

ينظر: صفحة دراسات إيرانية على تويتر، 2016-5-21، الرابط: <https://bit.ly/2zQHVAV>.

29- السيطرة على الإعلام، ص 19-20.

30- يُنظر: موقع المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، مثلاً: استقبال رئيس صحيفة تشرين السورية: <https://cutt.us/c9bGE>، وعقد اجتماع مع رئيس تحرير صحيفة الثورة السورية: <https://cutt.us/48sbA>.

31- نشر المستشار الثقافي الإيراني "أبو الفضل صالح نيا" مقالاً بعنوان: "تكتل اقتصادي وسياسي وثقافي إقليمي": ولم يزد فيه على بيان أهمية "محور المقاومة"، لكنه أكد مهمة "التَّخَبُّب وأهل الفكر" في توعية المجتمع لتحقيق ليكون المحور تكتلاً ثقافياً، مع كونه تكتلاً سياسياً واقتصادياً.

ينظر: صحيفة الوطن السورية، تاريخ 2019/11/5، <https://cutt.us/713Rx>.

32- ينظر على سبيل المثال، ندوة فكرية بعنوان: "فكر الإمام الخميني في مواجهة الاستبداد والاستكبار العالمي"، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، 2014/6/10: <https://cutt.us/vMwBD>، ندوة "الإمام الخميني والصحوّة الإسلامية"، أُقيمت في مركز تعليم اللغة الفارسية في اللاذقية، بتاريخ: 2012/6/3.

33- ندوة فكرية بعنوان: أسس الظهور وتحقيق الحكومة العالمية للإمام المهدي (عج)، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، <https://cutt.us/jcTjV>، تاريخ 2012/7/11، <https://cutt.us/bhSsv>.

33- ينظر على سبيل المثال: ندوة "الشهادة والشهداء في فكر الإمام الخميني (رض)"، أُقيمت في مبنى المكتب الشرعي للإمام الخميني بدمشق، بتاريخ: 2011/10/24، ندوة "اغتيال الشخصيات السياسية والثقافية المقاومة" عن اغتيال قاسم سليمان، أُقيمت في المركز الثقافي العربي في دمشق / أبو رمانة، بتاريخ: 2020/3/10، <https://cutt.us/qY27f>.

34- ينظر على سبيل المثال: ندوة "التداخلات الإقليمية والدولية واختلاف المشروعات السياسية ودورها في محاولة تصديع الهوية الوطنية"، قيمت في المركز الثقافي العربي في دمشق / أبو رمانة، بتاريخ: 2019/12/17، <https://cutt.us/pf9nk>، ندوة فكرية بعنوان: "دور الإعلام المقاوم في مواجهة التضليل الإعلامي"،

### 1-3- احتفالات ومهرجانات ومعارض: تصديروجه ثقافي جديد لسوريا

إلى جانب تلك الندوات تُداوم المستشارة الثقافية الإيرانية على إقامة الاحتفالات الدينية والوطنية الإيرانية، مع دعوة السوريين إليها، أو إقامتها في الجامعات السورية – كما مرّ في اختراق الجامعات السورية – والمراكز الثقافية والدينية (35). إضافة إلى الاهتمام بإقامة المعارض الفنية (36): كل ذلك يهدف نشر الثقافة الإيرانية ومفاهيمها ورموزها... إلخ، في قلب أحد أهم بلاد العالم العربي الإسلامي "سوريا"، وبما يساهم في تشويه هويتها الوطنية، عبر إيجاد أورام طائفية يستعصي معها الشفاء والعودة إلى الروح الوطنية السورية المتسامحة.

وبالنظر في هذه الفعاليات – وهي نماذج فحسب – يتضح أن القسم الأكبر منها يتركز في دمشق؛ وهذا لا يغيب عنه الرابط التاريخي الذي ورد في كلام معتمدين إيرانيين من قبل؛ فهو وجه ثقافي جديد يُرسم لعاصمة الأمويين، ولعل فيها بُعداً سياسياً كذلك في محاولة إثبات استقرار النظام وازدهار الحياة الثقافية في العاصمة؛ وإن كانت بحركة ثقافية ليست من ثقافة البلد، بل هي ثقافة شيعية فارسية تتغلغل في شتى مفاصل الحياة الفنية والثقافية والدينية، وتديرها المستشارة الثقافية الإيرانية بدمشق. حيث يشير استمرار هذه الفعاليات وتواترها؛ كما هو حال فعاليات "اليوم الثقافي" و"أيام الثقافة السورية الإيرانية" و"معرض الفن الإيراني" إلى أنها ليست لقاءات منفردة طارئة، بل برامج طويلة الأمد تهدف إلى نشر الثقافة الإيرانية في البيئة السورية.

لكنّ الفعالية الثقافية الأكبر للمستشارة الإيرانية هي الأسبوع الثقافي الإيراني (37)، الذي دأبت على إقامته سنوياً في سوريا؛ ففي عام 2004 أعلنت المستشارة الثقافية الإيرانية إطلاق "الأسبوع الثقافي الإيراني الكبير" الذي يُعد

موقع المستشارة الثقافية الإيرانية بدمشق، 2017/11/8، <https://cutt.us/9vqjD>، ندوة فكرية بعنوان: (الكيان السعودي عنف متواصل) نماذج تاريخية، موقع المستشارة الثقافية الإيرانية بدمشق، 2016/9/10، <https://cutt.us/4Mgfo>، ندوة فكرية بعنوان: منجزات الثورة الإسلامية في إيران، موقع المستشارة الثقافية الإيرانية بدمشق، 2011/2/14، <https://cutt.us/MWkIt>.

35- على سبيل المثال، احتفلت مكتبة الأسد الوطنية بالذكرى الأربعين لانتصار الثورة الإيرانية، دمشق، 2019/2/17، <https://cutt.us/W2esy>، واحتفلت المستشارة بعيد النوروز في جامعة دمشق، موقع المستشارة الثقافية الإيرانية، دمشق، 2019/4/7، <https://cutt.us/1mqPd>، وعلى مسرح دار الأسد للثقافة والفنون أقامت المستشارة الثقافية الإيرانية "أسبوع أفلام المقاومة"، الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، دمشق، 2015/1/5، <https://sana.sy/?p=126208>، وأقامت في سينما الكندي بدمشق "أسبوع سينما الطفل السوري والإيراني"، الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، دمشق، 2017/3/2، <https://sana.sy/?p=516589>، وتحت عنوان "مُقاومون" أقامت المستشارة الثقافية الإيرانية بدمشق "مهرجان الثقافة والفن المقاوم" تحت رايات إيران وحزب الله وصور القيادات الإيرانية، وكالة تسنيم الدولية للأنباء، 2015/5/31، <https://cutt.us/LP1x6>.

36- أقامت المستشارة الثقافية الإيرانية في دمشق "معرض الفن الإيراني المعاصر" في دمشق عام 2018م بهدف "إعادة الحياة الفنية في هذه المدينة العريقة إلى رونقها"، ينظر: قناة العالم، 2018/2/7، <https://cutt.us/VtuCD>.  
ثم أعادت المستشارة إقامة معرض الفن الإيراني هذا في عام 2019م في جامعة تشرين باللاذقية "تأكيداً لتحالف سوريا وإيران في صنع الثقافة في وجه الإرهاب".

ينظر: قناة العالم، 2019/10/15، <https://cutt.us/HXYZz>.

ينظر كذلك: فعاليات "أيام الثقافة السورية الإيرانية" في دمشق، الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، 2017/5/22، <https://bit.ly/319iDsJ>، "يوم ثقافي إيراني بدار الأسد للثقافة والفنون"، الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، 2018/2/8، <https://bit.ly/37Zzs1>.

37- الأسابيع الثقافية: أداة إيرانية ناعمة تنشط بها في مختلف الدول، يُنظر: القوة الذكية في السياسة الخارجية: ص140.

فعالية ثقافية متكاملة وتتضمن عدة معارض<sup>(38)</sup>، ثم جالت المستشارية بهذا الأسبوع الثقافي، فأقامته في أكثر المحافظات السورية<sup>(39)</sup>، وحرصت على استمراره حتى بعد انطلاق الثورة السورية<sup>(40)</sup>.

وفي إصرار إيران على نشر هذه الأسبوع الثقافي بمعارضه المتنوعة وفي أكثر المحافظات السوري تأكيداً للثقافة التي تريد لها أن تنتشر، لاسيما مع متابعتها إقامته في ظروف اقتصادية وأمنية سيئة تمرّ بها سوريا؛ فهي تحرص أن تُظهر صورة إيران المقاومة المتقدمة علمياً وثقافياً، في محاولة لتسويق نموذجها الثقافي على الساحة السورية مع هيمنتها السياسية والعسكرية، ولعل في اختيار إيران الساحل السوري لإقامة الأسبوع الثقافي في خضم الحرب رسائل متعددة؛ فهو من جهة لطمأنة الموالين للنظام على وقوف إيران معهم تأكيداً للقضية التي عبثت في كثير من العلويين بها، لاسيما مع التملُّل في حاضنة النظام المجتمعية من ارتفاع تكاليف الحرب عليها بشرياً وسوء الأوضاع المعيشية<sup>(41)</sup>، وهو من جهة أخرى تأكيد على الحضور الإيراني في الساحل حتى في المشهد الثقافي مقابل النشاط الروسي عسكرياً ومدنياً<sup>(42)</sup>.

#### 4-1- النشر والتوزيع: التشويه الإيراني لصفحة الثقافة في سوريا

اتضح أن المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق أداة مهمة، بل رأس حربة في التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا، ومع ذلك بقي مما تنشط فيه أنها تحتوي على مكتبة ضخمة ومركز للدراسات الثقافية الإيرانية – العربية تأسس عام 2000م<sup>(43)</sup>، ويضم آلاف المراجع بالعربية والفارسية، ويقوم بعقد الندوات وإصدار المطبوعات والدراسات، وتحرص إيران فيه على استقطاب الباحثين وتقديم ما يطلبونه من مراجع، مع المغريات بالنشر والتسويق

38- يشمل الأسبوع الثقافي: معرض الفن التشكيلي والمنمنمات، ومعرض الصور الضوئية عن الحياة في إيران، ومعرض الصور السياحية لأجمل المناظر الأثرية في إيران، ومعرض الخطوط والزخارف، ومعرض القرآن الكريم، ومعرض الكتاب، ومعرض التحف والصناعات اليدوية.

ينظر: موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2004/9/27. <https://cutt.us/DHMK3>.

39- أقامت المستشارية مهرجان الأسبوع الثقافي الإيراني وفق الآتي:

1. عام 2005 في درعا، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2005، <https://cutt.us/eto30>.

2. عام 2006 في حمص، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2006، <https://cutt.us/hpiHY>.

3. عام 2006 في الرقة، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2006، <https://cutt.us/3FO5Q>.

4. عام 2008 في حلب، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2008، <https://cutt.us/yXh1v>.

5. عام 2009 في حماة، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2009، <https://cutt.us/NSK5c>.

6. عام 2009 في إدلب، موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2009، <https://cutt.us/n51wT>.

40- أقامته المستشارية عام 2017 في الساحل السوري بين طرطوس وبناباس.

ينظر: الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، 2017/10/22، <https://www.sana.sy/?p=647145>.

41- بعد كذب النظام عليهم.. احتقان في صفوف العلويين بالساحل، أورينت نت، 2018/4/15، <https://cutt.us/28Gpm>.

42- كنا أشرنا في الإصدارين السابقين إلى نشاط التشييع وإقامة المدارس الشيعية والجمعيات وخدمات المجتمع المدني التي يشرف عليها مجمّع الرسول الأعظم في الساحل السوري.

يراجع: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (2): الأدوات التعليمية والاجتماعية، مرجع سابق، وكذلك: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية،

مركز الحوار السوري، أيار/مايو 2020، الرابط: <https://bit.ly/2YOqU28>.

43- موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، <https://cutt.us/SjBq6>.

والمكافآت، للترويج للثقافة الإيرانية وإجراء البحوث والرسائل الجامعية التي تنسجم مع تحقيق أهدافها. حتى إنّ المستشارية أطلقت لتعزيز استقطاب الكتاب والمؤلفين "مسابقة الإمام الخميني للإبداع الفني والأدبي" (44).

ومما تتابع المستشارية إصداره مجلّتها "الثقافة الإسلامية"، ولا تخرج في مضمونها عن الثقافة الشيعية الإيرانية التي تهدف لنشرها في سوريا (45).

ومنذ سنوات تحرص إيران على الحضور الواسع في معرض الكتاب العربي الذي تُقيمه سنوياً مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وتحظى المشاركة الإيرانية المتميزة حتى اليوم بتغطية إعلامية خاصة من وسائل إعلام النظام وإيران (46).

إلى جانب ذلك تحتفي إيران وتشجّع نشر الكتب التي تروّج لمشروعها؛ كما هو الحال في احتفائها بكتّابي "إيران النووية" (47) و"إيران وسوريا عناق البنادق والشرف" (48)؛ ولا يخفى ما فهمما من تعظيم لإيران وتصديق لأوهامها الإمبراطورية، وكذلك تلميع جديد للتغلغل الإيراني، وتشويه لحقيقة أهداف إيران في سوريا.

وفي السياق ذاته بدأت حركة النشر والتوزيع الإيرانية في سوريا مع حملة نشر التشييع؛ فانطلق في منطقة "السيدة زينب" عددٌ من المكتبات ودور النشر لتسويق الكتب الدينية التبشيرية (49)، وازدهرت حركة هذه المكتبات لعجز المستشارية الثقافية عن تغطية الاحتياج الكبير لنشر كتب التشييع؛ فهي مراكز لنشر كتب التشييع عن طريق إعارتها أو توزيعها مجاناً، وربما خصصوا جوائز ورواتب لمن يقرأ كتاباً أو أكثر من كتبهم، وتزداد الهبة بازدياد القراءة، ولاستقطاب الطلبة وإغرائهم بالتشييع والدراسة في إيران والنجف؛ وبهذا كان لها أثر في تشييع عدد من الناس (50)، ومنها كانت تنطلق سيارات محملة بالكتب باتجاه المناطق المستهدفة بنشر التشييع لتوزيعها مجاناً، كما كان يحصل في الساحل ودير الزور (51)، وقد تأتي سيارات الكتب من دور النشر الشيعية في لبنان، كما حصل في مناطق حمص المحاذية للحدود اللبنانية (52).

وكانت المستشارية – كونها فوق الرقابة – تستحوذ على مصوِّرات لكتب ممنوعة في سوريا، فيُقبل الناس عليها لأنها لا تتوفر إلا في معارض المستشارية الإيرانية، خصوصاً في فترة الثمانينات وحظر أنشطة الإسلاميين، فنشرت كثيراً

44- موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2019/8/5، <https://cutt.us/NjWyh>.

45- يُنظر مثلاً: العدد 2019/130، <https://cutt.us/Sajwb>.

46- موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2018/8/18، <https://cutt.us/YHf4g>.

47- الكتاب من تأليف طالب إبراهيم، وقد أقامت المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق لهذا الكتاب حفل توقيع وندوة في مقرها.

ينظر: موقع المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2019/6/20، <https://cutt.us/j5XmP>.

48- يضم الكتاب أبحاث متعددة لعدة مؤلفين، وقد أقامت المستشارية الثقافية الإيرانية بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في سوريا ندوة عنه.

ينظر: الوكالة العربية السورية للأنباء سانا، 2018/7/8، <https://www.sana.sy/?p=779315>.

49 مثل مكتبة "دار الحسينين" و"دار الجوادين" و"دار الرسول الأعظم".

50- يُنظر: البعث الشيعي: ص90، وتحذير البرية: ص15 وص22، محددات الوجود الإيراني في سوريا، مركز حرمون، آذار 2018، ص17.

51- تحذير البرية: ص69-70.

52- مقابلة مع مدرس تربية إسلامية من أبناء القصير، جنوب تركيا، 2020/2/21.

من الكتب والمجلات الإسلامية بالفهم الإيراني، في الوقت الذي خلت فيه أسواق الكتب من أية كتب ومجلات إسلامية آنذاك (53).

ومن الكتب التي تحرص إيران على الترويج لها وطرحها بأرخص الأثمان في معارض الكتاب العربي في مكتبة الأسد، وفي المعارض الخاصة التي تقيمها في المستشارية الثقافية: دواوين الشعراء الفرس الكبار؛ للترويج للثقافة الفارسية من خلالهم. ويتركون الحديث عن الرموز الشيعية المحترقة التي تنال من الرموز الإسلامية (54)، ليُظهروا التقرب من أهل البلد السنّة، ويترجمون كتب مَنْ يعتبرونهم "المتنورين الإيرانيين" كعلي شريعتي ومحمد خاتمي، وعند ترجمة كتب الخميني وغيره من علماءهم وقادتهم يحذفون المواضع المُشكلة (55)، فضلاً عن الترويج لبعض الكتب المنسوبة إلى أهل السنّة وفيها تأييد لبعض دعاوئهم ضد الصحابة (56).

إضافة إلى إكثارهم من طباعة كتب اللغة العربية والمنطق ودواوين الشعراء الشيعة العرب وطرحها بأرخص ثمن؛ ما يضطر الطلاب لمراجعة مكتباتهم لشرائها، فاستطاعوا بهذا احتواء كثيرين من المتذبذبين ضعاف النفوس إليهم. وفي سياق تفخيم أعمال قادة إيران الذي يسقطون في سوريا، وتعظيم ما يحكونه من "بطولاتهم وتضحياتهم" كما مرّ في فيلم "بتوقيت الشام" تحتفي إيران ببطولات الجنرال حسين همداني قائد الحرس الثوري الإيراني الذي قُتل في حلب بإصدار عدة كتب عنه، منها كتاب "الساعة الرابعة بتوقيت حلب" (57)، والكتاب الأكثر أهمية هو ما صدر عن دار تابعة للحرس الثوري بعنوان "رسائل الأسماك" الذي اشْتُهر بـ "مذكرات الجنرال همداني" (58).

فلا يخفى بعد النظر فيما تنشره وسائل الإعلام الإيرانية والمالية لها، وما تعمل على إخراجها من أفلام ومسرحيات، وما تعمل على نشره من كتب ومجلات ورعايته من ندوات واحتفالات ومعارض ومهرجانات، وما تطرحه بكثافة من مطبوعات؛ أنّ كل هذه أدوات للتغلغل الثقافي الإيراني في سوريا، فهي إعادة تشكيلٍ للوعي الثقافي السوري، إذ لا يرى المواطن السوري اليوم أمامه غير إيران على مستوى الجامعات والمدارس والمراكز الثقافية والندوات الفكرية والمعارض الفنية، لشدة تغلغلها – ومن بعدها روسيا – في المشهد التعليمي والثقافي السوري؛ فإيران بهذه الثقافة المسموعة والمقروءة والمشاهدة تعيد هيكلة الهوية الثقافية السورية وفق منظومتها وأهدافها.

53- المصدر السابق.

54- لا تخلو مطبوعات المستشارية من كتب فيها تهجّم على الرموز السنّة المهمة كصلاح الدين الأيوبي ومن الصحابة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

55- من مقابلة مع صاحب دار نشر دمشق في تركيا (عينتاب)، تاريخ 2020/2/16.

56- تحذير البرية: ص28.

57- يرسم مؤلف الكتاب صورة شديدة المثالية لهمداني من خلال أصدقائه ومن رافقوه خلال قيادته لعمليات الميليشيات الإيرانية في سوريا.

58- يشرح فيه همداني من خلال مقابلات وحوارات السياسة الإيرانية في سوريا، وكيف قرأت إيران الحالة السورية، وظروف قرار التدخل العسكري الإيراني وأصحاب القرار. وهذه المذكرات – كما وصفها فاطمة الصمادي التي راجعها – وإن كانت تتضمن حملات عقائدية ومساحات كبيرة للعاطفة والمزايا الشخصية لهمداني؛ فهي وما صدر عن قادة الحرس الثوري الإيراني الآخرين تشرح الأبعاد الاستراتيجية للتدخل الإيراني في سوريا؛ وهو حسن الوصاية على نظام الأسد.

ينظر: فاطمة الصمادي، رسائل الأسماك، ما تقوله مذكرات الجنرال همداني: الوصاية الإيرانية على سوريا، مجلة سياسات عربية، العدد22، أيلول 2016، ص141.

## 2- أدوات إيران الديمغرافية للتغلغل الثقافي في سوريا:

كثرت في الآونة الأخيرة الحديث عن التغيير الديموغرافي الذي يقوم به النظام السوري وحلفاؤه لإحداث تغيير في بنية المجتمع السوري<sup>(59)</sup>، والذي يعنينا هنا من التغيير الديموغرافي هو كونه أداةً من أدوات إيران في التغلغل الثقافي في سوريا؛ لذا نبدأ بتثبيت أمرين: أولهما أن النظام السوري شريك لإيران فيما يتم من تغييرات ديموغرافية في سوريا حالياً، ليس بسبب الهيمنة الإيرانية على النظام سياسياً واقتصادياً بعد سنوات من الثورة فحسب؛ بل كونه جزءاً من المخطط الإيراني للتغلغل الثقافي والسيطرة على سوريا لصالح إيران. وثانيهما: أن النظر الصحيح في أثر التغيير الديموغرافي الحالي في التغلغل الثقافي الإيراني يقتضي مراجعة باقي الأدوات الإيرانية السابقة؛ فهذا التغيير لا يمكن فهمه بعيداً عن جهود إيران التي سبق الحديث عنها، والتي بدأت منذ ثمانينات القرن العشرين؛ فالتغيير الديموغرافي الحاصل في سوريا حلقة في سلسلة إيران للتغلغل في سوريا لخلق هوية جديدة تضمن لها سيطرة متعاقبة عليها، وإن لم يكن لها وجود عسكري. وتم رصد أدوات إيران للتغلغل على الصعيد الديموغرافي من خلال: زيارة للإقامة، والتهجير القسري، وتغيير معالم المناطق:

### 1-2- زيارة للإقامة: بداية التمويل والتوطين

حيث إن التغيير الديني لسكان منطقة ما يدخل في التغيير الديمغرافي فلا يغيب عنا جهود إيران لنشر التشيع في سوريا بطرق متعددة، لاسيما بعد استيلاء الأسد على السلطة، فهي المرحلة الذهبية لنشر التشيع في سوريا، وقد سبق أن ازداد عدد الزوّار الشيعة كان كبيراً جداً، حتى تجاوز مليون زائر من العراقيين الشيعة<sup>(60)</sup>؛ وإن كان الزوّار الإيرانيون يغادرون خلال أيام فإن الزوّار العراقيين كانوا يأتون مقيمين<sup>(61)</sup>، فاستقر كثير منهم – تحت ذريعة

59- يُعرّف التغيير الديموغرافي بأنه: التغيير النوعي الإثني أو الديني أو المذهبي للسكان في منطقة ما، ويتم تنفيذه خلال مدة قصيرة أو طويلة تبعاً للأساليب والأدوات، التي منها ما يندرج ضمن أدوات القوة الناعمة كالأسلوب الدعوي التبشيري والثقافي العلمي وتقديم التسهيلات والمنح والجنسيات، وأسلوب الترغيب والترهيب المادي والمعنوي، ومن أساليب التغيير الديموغرافي ما يندرج ضمن القوة العسكرية الصلبة في الحروب والنزاعات كعمليات التطهير العرقي والتهجير القسري. يُنظر:

- حسين قطريب، سوريا المقيدة والتغيير الديموغرافي في سوريا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2017/5/3.

- والتغيير الديموغرافي والتهجير القسري في سوريا، وحدة تنسيق الدعم، 2017/6/20.

- وجهود النظام وحلفائه لإحداث التغيير الديموغرافي في المجتمع السوري وسبل مواجهتها، ندوة حوارية، مركز الحوار السوري، 2018/8/17.

<https://cutt.us/PHX9G>

- والتغيير الديموغرافي في سوريا، مدونة نُصح، 2016/2/2، <https://cutt.us/nTfil>.

- و"الجارديان": إيران تغيّر ديمغرافية سوريا بحزام طائفي من دمشق إلى لبنان، جريدة الخليج، 2017/1/16، <https://cutt.us/uEqjk>.

- والتغيير الديموغرافي في سوريا (1970-2017) المخطط والأدوات، بلدي نيوز، 2017/4/6، <https://cutt.us/a9Tsu>.

- وحروب التغيير الديموغرافي في سوريا، القدس العربي، 2018/4/28، <https://cutt.us/Zcu9u>.

- وهندسة التغيير الديموغرافي في سوريا بين الأسد وإيران وحزب الله، السورية نت، 2015/8/25، <https://cutt.us/1pXXK>.

- واستراتيجيات التغيير الديموغرافي في سوريا، الجزيرة نت، 2017/6/1، <https://cutt.us/M76y9>.

- أكرم البني، وجوه التغيير الديموغرافي في سوريا، الشرق الأوسط، 2020/1/10، <https://cutt.us/hZsmb>.

- إياد أبو شقرا، ومستقبل سوريا.. نتكلم ويفكرون! الشرق الأوسط، 2020/2/9، <https://cutt.us/w0trvz>.

- وقانون رقم 10: إعادة تشكيل الخصائص السكانية في سوريا، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2018/9/17، <https://cutt.us/z6TSL>.

60- يُراجع: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية، مصدر سابق، ص 14 وما بعدها.

61- البعث الشيعي: ص 89.

هروبهم من النظام العراقي - في دمشق وضواحيها، وتزوّج بعضٌ منهم من سَنَيَات لزيادة أواصرهم مع عائلات المنطقة<sup>(62)</sup>.

وعلى نحو ما تضرب إيران بالمليشيات العراقية السوريين اليوم عسكرياً؛ كان الشيعة العراقيون قبل ذلك أداةً لإيران في نشر التشييع وإقامة الحوزات الدينية<sup>(63)</sup>؛ كإحدى الأدوات الناعمة لتحقيق ذلك<sup>(64)</sup>.

ومضى كذلك ذكر الحملة الكويتية (المعراج) التي ما زالت تصل إلى سوريا حتى اليوم بأغراض دينية وإنسانية، وتحت ذلك أهداف تبشيرية بالمشروع الإيراني الذي يحمل قسماً من تمويلها. وبعض المقامات والحوزات الشيعية التي أُقيمت في سوريا كانت بتمويل شيعة خليجيين<sup>(65)</sup>.

ومع ما ذُكر من أثر لحزب الله في نشر التشييع فإنّ لقدم عوائل عناصر الحزب عند اللجوء إلى سوريا خلال حرب تموز/2006 أثراً كذلك؛ فقد زادوا في ترغيب الناس بالتشييع، وبعض هذه العوائل استقر بعد ذلك في سوريا، وأقاموا علاقات اجتماعية وروابط مصاهرة مع السوريين<sup>(66)</sup>.

فزيارة المراقد الشيعية في سوريا كما هي ذريعة المليشيات الموالية لإيران للتدخل العسكري اليوم؛ كانت ذريعتهم للزيارة والحجّ من قبل أو هرباً من الظلم؛ فانقلبت الزيارة إلى استقرار وإقامة، وباتوا أداةً في يد إيران للتغلغل الثقافي والتغيير الديمغرافي في سوريا عبر نشر التشييع، وتغيير التركيبة السكانية، وتشديد مقامات وحسينيات وحوزات دينية بتمويل إيراني جعلها فوق الرقابة وخارج إطار المتابعة القانونية، مع إغضاء الطرف من النظام السوري حيناً والدعم الكامل منه حيناً آخر، الأمر الذي ساعد إيران على خلق بُؤر استيطانية لها حول المقامات الدينية حشدت فيها من جاؤوا ابتداءً بحجة الزيارة الدينية، فأقاموا وتزوجوا وتوالدوا، وتحولوا بالتدريج من جالية قليلة إلى جزء سكاني لا يمكن تجاهله، ليكون هذا المكوّن الاجتماعي الموالي لإيران ذراعاً يسهّل لها التغلغل الثقافي في سوريا، بل واحتلالها كما حدث لاحقاً، وهذا ما اعتمده لإيران لتنفيذ مشروعها في العراق والبحرين وغيرهما من قبل.

ولا يبعد أن يكون نزول الشيعة العراقيين في دمشق وضواحيها واستقرارهم فيها بدءاً من الثمانينات تمّ بالتنسيق مع الأسد الأب؛ فهو أول من عمل على إحداث تغيير ديمغرافي في العاصمة دمشق، ففي عام 1974 م كان 300 من

62- يُنظر: تحذير البرية: ص18.

63- يُنظر: عملاء إيران العراقيون الشيعة يعززون انتشارهم في سوريا، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2015/10 <https://cutt.us/HFTOq> والفارسية الخمينية واستراتيجية الاستيطان في سوريا، مرجع سابق. ومؤسسات النفوذ الإيراني: ص14. والبعث الشيعي: ص34. والتجمعات الشيعية في بلاد الشام: ص129.

64- على سبيل المثال، تصدر الداعية الشيعي عبد الحميد المهاجر التلفزيون السوري في حلقة أسبوعية منذ 1992م في نشاط غير مسبوق وتحدياً لمشاعر الستة

ينظر: البعث الشيعي، ص70، وتحذير البرية، ص14.

65- يُنظر: البعث الشيعي: ص82، وتحذير البرية: ص73.

66- من مقابلة مذكورة سابقاً لأحد أبناء بصري في حوران.

العلويين فقط يسكنون دمشق (من أصل 500 ألف نسمة)، ولكن بحلول 2010 ارتفع العدد إلى أكثر من 500 ألف (من حوالي 5 ملايين) في منطقة العاصمة، وهو ما يعادل ربع الطائفة العلوية في سوريا<sup>(67)</sup>.

وتغيير التركيبة السكانية من الأسد لم يقف عند دمشق؛ فقد وجّه العلويين بهجرات كبيرة وسريّة – كما ذكر الزعيم اللبناني كمال جنبلاط – على مدار سنوات خلال السبعينات للاستقرار في حمص وريفها<sup>(68)</sup>.

فالاهتمام بدمشق متقدم عند الأسد وإيران للتغيير فيها، كما وجدنا خلال العقود المتعاقبة تركيز مختلف أنشطة التغلغل الثقافي فيها<sup>(69)</sup>، ومن بعدها حمص التي تقع في الوسط وتتحكم بربط سوريا بمناطق نفوذ حزب الله في لبنان، وتتصل عبر باديتها بالحدود العراقية، ولم يكن يُعرف للعلويين وجود كثيف فيها من قبل<sup>(70)</sup>.

## 2-2- التهجير القسري: طريق إيران للتوطين الدائم

لجأ الأسد إلى خيار العنف ضد الثورة السورية منذ انطلاقتها؛ فبدأ بحملات اعتقال وقمع للمتظاهرين، ثم بإطلاق الرصاص الحيّ، وتطور بعدها إلى قصف الأحياء وتدمير المدن المعارضة بالكامل.

ومنذ معركة القصير في ريف حمص عام 2013م، ومشاركة حزب الله اللبناني في السيطرة على المنطقة وتهجير أهلها منها؛ أصبح التدخل الإيراني ومشاركته في التدمير والتهجير القسري ممنهجاً في مناطق نشطاً الإيرانيون لنشر التشييع فيها من قبل، فكانت المشاركة الأكبر للمليشيات الإيرانية في حصار حمص وريفها، وكذلك أهالي ريف دمشق في سلسلة من المعارك والحملات الطويلة<sup>(71)</sup>، وانتهت بتهجير أهالي هذه المناطق إلى الشمال السوري بعد مفاوضات أدارها الإيرانيون بشكل مباشر؛ لأنها تخدم أهدافهم في التغيير الديمغرافي في سوريا<sup>(72)</sup>.

ولتحقيق ذلك جعلوا التهجير القسري الخطوة الأولى، ثم أعقبوه بتوطين المقاتلين وعائلاتهم، أو باستجلاب الشيعة، وتسليمهم مناطق الغالبية السنيّة التي وقع عليها التهجير.

وحيث إن القرار السياسي في سوريا بيد إيران، والنظام السوري – من قبل الثورة – يقدّم في العموم الدعم والتسهيلات للمشروع الإيراني، وإن أكتثية المقاتلين في المليشيات الإيرانية من غير السوريين؛ فقد لجأ النظام

67- حنين غدار، وصول استراتيجية "سوريا المفيدة" التي تعتمد على إيران إلى مرحلة الاكتمال، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2016/9/18.

<https://cutt.us/QS6x1>

68- يُنظر: حنا بطاطو، فلاحو سوريا أبناء وجهاتهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم، ترجمة: عبد الله فاضل ورائد النقشبندي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2014؛ ص 344.

69- يُراجع: على الصعيد الإعلام والنشر، القسم الأول من هذا الإصدار.

70- سارة شريف، المشروع الأسود بين إسرائيل وإيران، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016؛ ص 85.

71- يُنظر: التهجير في سوريا: تصنيفه – آلياته – أهداف الأطراف الفاعلة فيه، المركز السوري للأبحاث والدراسات القانونية، 2018/10/12. <https://sl-center.org/?p=396>، عمر كوش، والهدن والتغيير الديموغرافي في سوريا، المعرفة، الجزيرة نت، <https://cutt.us/IArys>، والتغيير الديموغرافي في سوريا:

من السياسة العشوائية إلى الممنهجة، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2017/4/18، <https://cutt.us/4byeP>.

72- المثال الأبرز على ذلك تمثل في اتفاقية "المدن الأربعة" التي رعتها وأدارتها إيران بالكامل، والتي تضمنت إخراج أهالي كفرنبا والفوعة "الشييعتين" وتهجير أهالي مضايا والزبداني "السنيين".

ينظر على سبيل المثال: جلال سلمي، دوافع إبرام اتفاق "المدن الأربعة" في سوريا، نون بوست، 2017-4-8، الرابط: <https://bit.ly/2Nm0srz>.

السوري إلى عدة خطوات لتسهيل تمكين الإيرانيين وأعوامهم من التغيير الديمغرافي، ولتحقيق حلم إيران بالسيطرة على سوريا والتغيير الثقافي والاجتماعي فيها، مع توفير الغطاء القانوني لذلك.

من ذلك إصدار المرسوم التشريعي /66/ لعام 2012، والذي يهدف لاستحداث مناطق تنظيمية في دمشق وضواحيها. ثم القانون رقم /10/ لعام 2018، والذي ينصّ على مهلة شهر لأصحاب الحقوق لتقديم وثائق ومستندات إثبات ملكية<sup>(73)</sup>. وأخيراً تجنيس مقاتلي الميليشيات الإيرانية وعوائلهم، حتى بلغ المجنسون نحو مليونين عام 2018<sup>(74)</sup>.

وبعيداً عن الجلبّة والتنديد بهذه التسهيلات من النظام<sup>(75)</sup> أعلنت إيران عن دخولها إعادة إعمار في سوريا بشركات إيرانية، ومن خلال اتفاقيات وعقود مع مختلف الوزارات السورية المعنية، وإعادة الإعمار هذه بيد إيران هي جزء من التغيير الديموغرافي لتعميق النفوذ الإيراني وسيطرتها على البنية التحتية في سوريا<sup>(76)</sup>.

كما تنشط شركات إيرانية في شراء العقارات بالترغيب والترهيب في قلب دمشق مستغلين حاجة الناس وخوفهم<sup>(77)</sup>، فهو إفراغ للمنطقة في دمشق وجنوبها وغوطتها من أهلها، وتسليمها للشركات الإيرانية لإعادة إعمارها وتوطين عوائل شيعية فيها.

ولإحكام الحزام الشيعي حول دمشق عاجلت إيران باستقدام 300 عائلة شيعية عراقية، وأعدت توطينهم في "داريا"<sup>(78)</sup>. وفي الغوطة الشرقية شرع حزب الله بنشر التشييع بقوة بعد تهجير أهلها منها، مع شراء أملاك الأهالي السنّة، وتنظيم عمليات تملك لسكان شيعة أصولاً بعد إسقاط كافة عمليات البيع والشراء التي تمت خلال فترة وجود المعارضة السورية في الغوطة<sup>(79)</sup>. ويبدو أن إيران تحرص على الاستفادة من تجربة حزب الله في لبنان ومن ميليشياتها في العراق في تطويق العاصمة بالموالين لها، ليسهل عليها مصادرة القرار السياسي في أية مرحلة قادمة.

73- يُشار إلى أن مدة الشهر هذه مُددت إلى سنة مع الضغط الدولي على نظام الأسد، يُنظر: مسؤول في الائتلاف الوطني: عمليات التغيير الديمغرافي هي خدمة لإيران، 2018/4/5، <https://cutt.us/ev5p5>، والنظام السوري يصادر أملاك المهجرين.. قطع طريق العودة، وكالة الأناضول، 2018/11/22، <https://cutt.us/RHkWU>.

74- 2 مليون شيعي منحهم الأسد الجنسية السورية لإكمال عملية التغيير الديموغرافي، الائتلاف الوطني، 2018/5/31، <https://cutt.us/MAu5R>.  
75- إبراهيم أبو أحمد، قانون الأسد رقم /10/ إعادة تشكيل الخصائص السكانية في سوريا، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2018/9/17، <https://cutt.us/qjRet>.

76- إعادة إعمار إيرانية في سوريا.. تغيير ديموغرافي بأيدي محلية، وكالة قاسيون للأخبار، 2019/11/27، <https://cutt.us/q7nsZ>.  
77- تم نقل أكثر من 8 آلاف عفار في منطقة دمشق إلى مالكين شيعة أجنبي بين أعوام (2017-2019).

ينظر: محددات الوجود الإيراني في سوريا، ص 26، التصدي لإيران في سوريا (الجزء 1): ما بعد الجزم، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2019/1/22، <https://cutt.us/oG5wU>.

78- بعد تهجير أهالي درايا، منحت إيران هؤلاء المستوطنين المنازل و2000 دولار لكل عائلة بواسطة ميليشيا حركة النجباء.  
ينظر: وصول استراتيجية "سوريا المفيدة" التي تعتمد عليها إيران إلى مرحلة الاكتمال، مرجع سابق.

79- حزب الله ينشر التشييع في الغوطة عقب تهجير المعارضة، الخليج الجديد، 2018/9/26، <https://cutt.us/VEgde>.

وتمكنت إيران من فرض سيطرتها على حمص بعد إحراق السجل العقاري فيها، وقطع طريق العودة على أهالي المحافظة من العرب السنّة، مع سيطرة ميليشيا عسكرية إيرانية على المدينة وإحكام حزب الله سيطرته على القصير وريفها حتى الحدود اللبنانية<sup>(80)</sup>؛ وبهذا يتم ما بدأه الأسد الأب بنقل العلويين إلى حمص منذ السبعينات.

وعلى نحو ما فعلوا في حمص حرق حزب الله السجلات العقارية وقيودها في المناطق التي سيطر عليها في الزبداني وداريا والقصير؛ ما يتيح لإيران تزوير بيانات السجلات ونقل الملكيات<sup>(81)</sup>، مع عود صريحة من حزب الله لعناصر قتلاه أن يكون لهم حصة في هذه المناطق بعد الإعمار<sup>(82)</sup>!

والتركيز الإيراني على مناطق دمشق وريفها وحمص وريفها بات واضحاً، مع ما تم من تهجير وإعادة توطين، فهذه الآليات للتغيير الديمغرافي انتهت بالتركيبة السكانية والعمرانية في سوريا - لاسيما في هذه المناطق - لِمَا يوافق إيران؛ عبر تفرغ المناطق من الغالبية السنّة لصالح الطائفة الشيعية، بسبب عمليات التجنيس والتوطين في المناطق التي هُجّر عنها أهلها، ولنشاط إيران من قبل في حركة التشيع بين السنّة والعلويين<sup>(83)</sup>. وهذا يتطابق مع ما أسماه بشار الأسد "سوريا المفيدة"؛ فهي تشمل مع محافظات الساحل حمص وحماة ودمشق وريفها<sup>(84)</sup>، وهي بهذا تتفق مع ما تسعى إليه إيران من الهلال الشيعي الرابط بين العراق وسوريا ولبنان، ويسمح لها بطريق متصل من طهران حتى الإطالة على المتوسط، وتكون حمص في قلب هذا الهلال الشيعي<sup>(85)</sup>، ويُفهم بهذا أكثر الاهتمام الإيراني بحمص وريفها في التهجير المبكر وإعادة التوطين والإعمار<sup>(86)</sup>.

وحيث إن الحُلم الإمبراطوري لإيران أكبر من حُلم الأسد بما أسماه "سوريا المفيدة"؛ فقد اتجهت لوضع يدها على مناطق أخرى بالطريقة ذاتها؛ فتنشط عناصر حزب الله للاستقرار مع عوائلهم في قرى الشركس في الجولان<sup>(87)</sup>، كما دفعت إيران بأعداد من الشيعة المجنّسين وأعدت توطينهم في ريف السويداء<sup>(88)</sup>. وهذا ما يؤكد أن مشروع التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا لا يستهدف السنّة فحسب، بل لا ينظر إلى الأقليات (علوية كانت أو درزية أو إسماعيلية) إلا بعين المصالح حتى تحقيق الهدف في التمكن من السيطرة.

80- يُنظر: عبد الرحمن عبارة وعبيدة فارس، ما هي حقيقة المخطط الهادف إلى التغيير الديموغرافي في حمص؟ الرصيف، 22، 2016/8/28

<https://cutt.us/WIC3G>

81- محددات الوجود الإيراني في سوريا: ص 27.

82- حزب الله يرمم مساجد الزبداني ويحولها إلى مزارات، المدن، 2019/1/6، <https://0i.is/Xkdu>

83- يُنظر: سوريا المفيدة والتغيير الديموغرافي في سوريا: ص 15-16.

84- يُنظر: غسان إبراهيم، "سوريا المفيدة" لتمكين الوجود الإيراني، صحيفة العرب، لندن، العدد 10404، 2016/9/24، <https://cutt.us/hKbT2>، وسوريا

المفيدة والتغيير الديموغرافي في سوريا، مرجع سابق.

85- يُنظر: "حمص في قلب الهلال الشيعي" قراءة لمخطط الربط الجغرافي بين ثالوث شيعة العراق وعلويي سوريا وشيعة لبنان، اقتصاد، 2013/7/7،

<https://bit.ly/2YUOhra>

86- حتى إن الجنرال همداني حين وصوله سوريا في مهمته لقيادة قوات الحرس الثوري الإيراني زار مقام السيدة زينب، وبعدها اتجه فوراً إلى حمص، فالتقى

وجهاً العلويين والشيعة ونظّم 500 شاب شيعي و2000 شاب علوي وجهّزهم بالسلاح كما جاء في مذكراته.

ينظر: رسائل الأسماك، ص 139.

87- كيف يتوغل حزب الله في قرى الشركس على حدود الجولان المحتل؟، مصدر سابق.

88- يُنظر: هذا ما فعلته إيران في سوريا، مصدر سابق.

وعلى هذا فلا نجد المنع من العودة إلى ريف اللاذقية خاصاً بالتركمان والعرب السنّة الذين حاولوا الاستفادة من دعوات النظام للاجئين للعودة<sup>(89)</sup>؛ فقد سيطرت ميليشيات إيرانية على مناطق متعددة في ريف اللاذقية، ورفض النظام للعوائل المهجرة في حلب وغيرها من أهالي هذه القرى من العلويين والمسيحيين العودة إليها، رغم توسُّط المسيحيين لدى الروس للعودة إلى قراهم<sup>(90)</sup>.

وقد سبق بيان النشاط الإيراني المحموم في دير الزور وريفها، وترافق ذلك مع تجنيس شيعة وتوطينهم هناك، ووضع الميليشيات الإيرانية أيديها على منازل المواطنين فيها<sup>(91)</sup>، فمنذ أواخر 2018 استقرت أكثر من 100 عائلة شيعية أجنبية في الأحياء الجنوبية للميادين، وعدد مماثل من العائلات الشيعية في البوكمال؛ وقد ازدادت هذه العوائل بلا شك منذ ذلك الحين<sup>(92)</sup>.

وإيران بهذا التمدد الشيعي مع تهجير السنّة ترسم خارطة جديدة لسوريا، يتحقق فيها للأسد دُوليته المزعومة، ولإيران هلالها الشيعي الذي سعت إليه لعقود عبر وسائل عديدة، كان آخرها - حتى الآن - التغيير الديمغرافي والعبث بالتركيبة السكانية للمجتمع السوري.

### 2-3- تغيير معالم المناطق: رسم وجه عمراني إيراني لسوريا<sup>(93)</sup>

يُعد الفن من أهم وأبرز مصادر القوة الناعمة الإيرانية؛ إذ تتميز إيران بالتقدم في مجال الفن، بما في ذلك المعماري، حيث تشتهر ببناء المعابد والأديرة، كما اشتهرت بالنحت والتماثيل والمنمنمات<sup>(94)</sup> والزخارف<sup>(95)</sup>.

89- النظام يمنع عودة ناجي ريف اللاذقية.. هل هو تطهير طائفي؟، الجزيرة نت، 2018/12/27، <https://cutt.us/letjt>.

90- احتقان شعبي في اللاذقية من المد الإيراني، المرصد الاستراتيجي، <https://cutt.us/9UPuB>.

91- يُنظر: ماذا تعرف عن ملف تجنيس الإيرانيين والتغيير الديمغرافي في سوريا؟ مصدر سابق.

92- ما الذي تخطط له إيران في دير الزور؟، مصدر سابق.

93- يختلف تغيير معالم المناطق العمرانية عن المعنى الدقيق "للتغيير الديمغرافي"، ولكنه يقترّب منه باعتبار أن هذا التغيير يشمل المكان، وهو مكمل لاستبدال الإنسان أو ممهّد له وجوداً و/أو هوية. فلا ينال التغيير هنا التركيبة السكانية بشكل مباشر، وإنما التركيبة العمرانية المفضية والممهدة لاستبدال الانسان وجوداً و/أو هوية.

94- المنمنمات الفارسية هي لوحة أو صورة صغيرة الحجم، إما تستخدم كتوضيح في كتاب أو تكون عملاً فنياً مستقلاً بذاته.

يراجع: منمنمات فارسية، المعرفة، الرابط: <https://bit.ly/2NkuADA>.

95- د. إياد المجالي وآخرون، تقرير استراتيجي سياسي: القوة الناعمة لإيران في الشرق الأوسط، مجلة مدارات إيرانية، المركز العربي الديمقراطي، ألمانيا، العدد 4/، يونيو/حزيران 2019، ص 25، الرابط: <https://bit.ly/3eod5hL>.

وبما أن الطابع المعماري ونمطه وطرازه<sup>(96)</sup> يتأثر بعوامل متعددة منها المكان والهوية الثقافية والدين والعلاقات الاجتماعية.. إلخ، فإن إيران في محاولة منها لتأكيد حضورها الثقافي في سوريا تسعى لتكريس بعض الأنماط المعمارية التي تنتهي لـ "الطراز المعماري الإيراني"<sup>(97)</sup> تحديداً في المساجد والمزارات.

والملاحظ في كل ما تسيطر عليه الميليشيات الإيرانية وتُعيد بناءه، أو تؤسسه من الحسينيات والمقامات والحوزات أنها تلتزم فيه بشدة النمط المعماري الإيراني؛ بحيث يعد مظهراً من مظاهر إثبات الوجود الشيعي في سوريا<sup>(98)</sup>.

لذا كان حرصُ إيران على تغيير معالم المناطق التي تسيطر عليها ميليشياتها، وتغيير المساجد والمعالم الدينية السنّية إلى معالم بل وأسماء شيعية، فلا تترك مسجداً يحمل اسم عمر أو عثمان أو "أبو بكر" أو معاوية أو عائشة<sup>(99)</sup>.

وقد حوّلت إيران بناء مسجد أبناء جعفر الطيّار في حمص فور السيطرة عليه إلى بناء ذي قباب كما هو وارد في عقيدتهم<sup>(100)</sup>، بما يشبه النمط المعماري الذي تم تنفيذه في منطقة السيدة زينب قبل ذلك.

وفي قلب دمشق حيث لا يسمح النظام للأهالي بأية تعديلات في المباني القديمة؛ تقوم إيران بتغييرات جوهرية داخل البيوت الدمشقية وفي شوارع دمشق وأحيائها<sup>(101)</sup>.

وكانت أكثر مبالغة إيران في تجهيز المقامات الدينية، فتقوم بتذهيب القباب والأبواب والزخرفة المبالغ فيها للقبور<sup>(102)</sup>؛ بما يعيدنا لما قيل: إن الناظر إليها يشعر أنها قطعة هاربة من أرض فارس!

ومع اعتداد إيران بحضارتها الفارسية وفتحها المعماري الذي هو جزء من هويتها الحضارية وأحد أدواتها الناعمة في التغلغل الثقافي<sup>(103)</sup>؛ فليس الاهتمام بالترام النمط الفارسي ونشره في سوريا بعيداً عن هذا؛ لأنه يمثل جزءاً من

---

96- يعرف الطابع المعماري بأنه: "مجموعة من السمات والقيم الجمالية، التي يعبر عنها المبنى، وتعطيه شخصية مميزة معبرة عن قوميته". ويعرف النمط المعماري بأنه: "مجموعة من السمات والخصائص البصرية التي تعبر عن المبنى، وتعطيه شخصية مميزة. حيث تشكل النمط المعماري نتيجة لعدة جوانب يتميز بها المبنى، من أهمها: النظام الإنشائي، مواد البناء، العناصر المعمارية، الوظيفة والجانب الجمالي، هذا بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، والبيئية للمجتمعات".

ينظر: معاذ والي وزملاؤه، دور التصميم المعماري في تعزيز الانتماء وتأسيس الهوية "المسكن الفلسطيني كحالة دراسية"، جامعة فلسطين، 2017/2016، ص23، 40.

97- على سبيل المثال، يرى أحد الكتاب أن هنالك طرازاً واضحاً للمآذن الإيرانية، حيث إن الأخيرة مرت بتطور شمل التأثير بعدة طرز: العباسي، السلجوقي، ثم تبلور الطراز الصفوي بعد القرن السادس عشر، والذي ساد وانتشر في كل المدن الإيرانية.

ينظر: د. حسان محمود الحاج قاسم، مآذن بغداد: شواخص للهوية العمرانية، المجلة العراقية لهندسة العمارة، السنة التاسعة، العدد 27/، ب.ت، ص66، الرابط: <https://bit.ly/2zU0FPD>.

98- إبراهيم درويش، شاه إيران كان قلقاً من عروبة دمشق... وثورة المستضعفين تحالفت مع البعث العلماني وليس الإخوان، القدس العربي، يناير/2016، الرابط: <https://Oi.is/56oK>، ص6.

99- شراء عقارات وتغيير معالم.. كيف غيّرت إيران مناطق بدير الزور، العربية نت، 2019/7/15، <https://Oi.is/ToYO>.

100- حمص نموذجاً للتغيير الديموغرافي في سوريا، مرجع سابق.

101- ماذا تعرف عن ملف تجنيس الإيرانيين والتغيير الديموغرافي في سوريا؟ مرجع سابق.

102- كأنها الضاحية الجنوبية، مرجع سابق.

103- القوة الذكية في السياسة الخارجية: ص91.

الثقافة التي تتغلغل بها إيران في سوريا، وبالتأكيد فإن هذا الأمر له دلالاته الرمزية والنفسية للشعبة العرب وعلاقتهم الاعتقادية بإيران (104).

فالهوض الإيراني الظاهري بلبوس إعادة الإعمار في سوريا وترميم المراقد وفق النموذج الفارسي يأتي بعد الدمار الذي طال مدناً بأكملها، حتى لا يرى إلا قباباً ومراقدٌ عامرةٌ تزدهر بالزوّار والحجاج الإيرانيين. فهذا التغيير في المعالم هو كالتتمة للتغيير الديموغرافي الكبير الذي تفعله إيران في سوريا، ليكتمل الإخراج بأكمله وفق الرؤية الثقافية الإيرانية الفارسية، التي تستهدف البشر ديمغرافياً والحجر عمرانياً.

ولم تكن الجهود الإيرانية بتكريس الوجه الإيراني للمناطق التي سيطرت عليها، بل حملتها بأفكارها ورؤاها الطائفية، كما فعلت في دير الزور عندما حولت المساجد إلى مراكز ومقامات دينية شيعية (105)، والقباب المهجورة ونبع ماء في بادية دير الزور إلى مزارات دينية تتقاضى الرسوم على دخولها (106)، وسطت على الأوقاف الإسلامية المتضمنة أماكن تاريخية (107)، مع ما لهذا الأمر من خطورة كبيرة؛ فالوقف منذ نشأ كان يمدّ الأعمال الخيرية والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية الدينية بالموارد المالية، فهو الأساس الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية في حضارتنا (108)، فوضع إيران يدها على الأوقاف السنّية لصالح المقامات "التابعة لها" بعيداً عن أية رقابة يدخل في التضييق أكثر على المؤسسة الدينية السنّية وإضعاف تعليمها الديني، في مقابل تقوية مؤسساتها وحوزاتها الشيعية.

104- البعث الشيعي: ص 88.

105- التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا ليس الوحيد لكنه الأخطر، مرجع سابق.

106- إيران في دير الزور: ص 18.

يمكن الإشارة إلى ما قام به حزب الله عندما سيطر على بعض المناطق من اعتلاء مساجد أهل البلد السنّة ورفع راياته الطائفية فوقها؛ كما فعل في القصر، وكما فعلت إيران عندما سيطرت على حمص واستولت على مسجد أبناء جعفر الطيار في المدينة القديمة عام 2014.

107- دمرت إيران المناطق السكنية التي تتضمن هذه الأماكن التاريخية، وإن كانت قبوراً أمر أهلها بنيشها ونقل رفات موتاهم منها بالقوة؛ كما حصل في مقبرة آل البيت في "باب الصغير" بدمشق، ومجمّع الرسول الأعظم الذي شُيد بدعم إيراني في اللاذقية لإدارة شؤون التشييع وتنفيذ الأنشطة الإيرانية. يُنظر: البعث الشيعي: ص 73-84.

108- يُنظر: د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق، بيروت، 1999، ص 198. منذر قحف، الوقف الإسلامي (تطوره - إدارته - تنميته)، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 66.

## خاتمة:

بعد التعرف على الأدوات الإعلامية التي تستخدمها إيران في اختراق الثقافة السورية يجدر بالقوى السورية بمختلف تخصصاتها؛ السياسية والمدنية والإعلامية، تركيز جهودها للتصدي الإعلامي لهذا المشروع وكشف مخططاته التي تستهدف الهوية الوطنية السورية، وذلك عبر أدوات متعددة؛ مرئية ومسموعة ومكتوبة، ومخاطبة السوريين الموجودين في مناطق النظام قبل غيرهم، على اعتبار أنهم هم المعرضون بشكل مباشر وأني لمخاطر هذا المشروع، في ظل وجود نظام حريص على وجوده ولو أدى إلى تفكيك هوية الشعب الذي يدعي زوراً أنه يمثلها.

وعلى صعيد آخر فهناك علاقة واضحة بين نشر التشييع والتغيير الديمغرافي اللذين تعمل عليهما إيران في سوريا؛ إذ يُعد الأول هو الهدف الأساسي للمشروع الإيراني العابر للحدود (مضمون المشروع الإيراني)، وعندما تفشل إيران في تحقيقه لدى السكان الحقيقيين عبر الوسائل الناعمة؛ الاجتماعية والدينية والإعلامية، وهذا ما يحصل غالباً لأسباب متعددة أهمها فقدان النموذج الإيراني للجاذبية والقدرة على الإقناع<sup>(109)</sup>؛ تلجأ إلى القوة الخشنة، ويأتي على رأسها التغيير الديمغرافي عبر التهجير القسري، بحيث تستبدل بالسكان الأصليين آخرين ينتمون للمذهب الشيعي، كما يحدث حالياً في ريف دمشق والقلمون الغربي وريف حمص الغربي (القصير وما حولها) وريف دير الزور.

وفي هذا السياق نلاحظ لجوء إيران إلى القوى الخشنة عبر التغيير الديمغرافي في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لها (المناطق التي تؤمن الاتصال العراق ولبنان، والمناطق المحيطة بدمشق "نموذج الضاحية الجنوبية")، على عكس المناطق التي تقع خارج هذه المناطق، فنلاحظ لجوءها فيها إلى القوة الناعمة غالباً كما هو الحال في حلب وريفها وريف درعا والسويداء، إذ يبدو أنها تعتبر الأخيرة مجرد أوراق تحاول استثمارها في لعبتها مع الدول الإقليمية والدولية، على عكس الأولى التي تمثل توجهاً استراتيجياً<sup>(110)</sup>.

بعد أن انتهينا من استعراض الأدوات التي تستخدمها إيران لتحقيق تغلغلها الثقافي في سوريا؛ دينياً وتعليمياً واجتماعياً وإعلامياً وديمغرافياً؛ يجدر بنا التعرف على مخاطر هذا التغلغل على الهوية السورية، وسبل مواجهة هذه المخاطر، وهذا ما سنخصص له الإصدار الرابع والأخير من هذه السلسلة.

109- كما حدث معها سابقاً في شرق سوريا، فعقب إعدام صدام حسين، وظهور النوايا الإيرانية في احتلال المنطقة العربية والسيطرة عليها، تراجع العشرات ممن تشييعوا في الرقة ودير الزور، وعادوا إلى "إسلامهم السني".

يوضح هذا المثال هشاشة القنوات التي تشكلها إيران لدى تابعيها الجدد.

110- هذه النتيجة تأخذ بعين الاعتبار معيار "التغيير الديمغرافي" بصورة أساسية بغض النظر عن الانتشار العسكري، والوجود الديمغرافي للشيعية السوريين. ومع ذلك نعتقد أن هذه الفرضية بحاجة لدراسة مفصلة مستقلة.